منتديات الإمام الآجري

تقييدات
في إعجاز القرآن

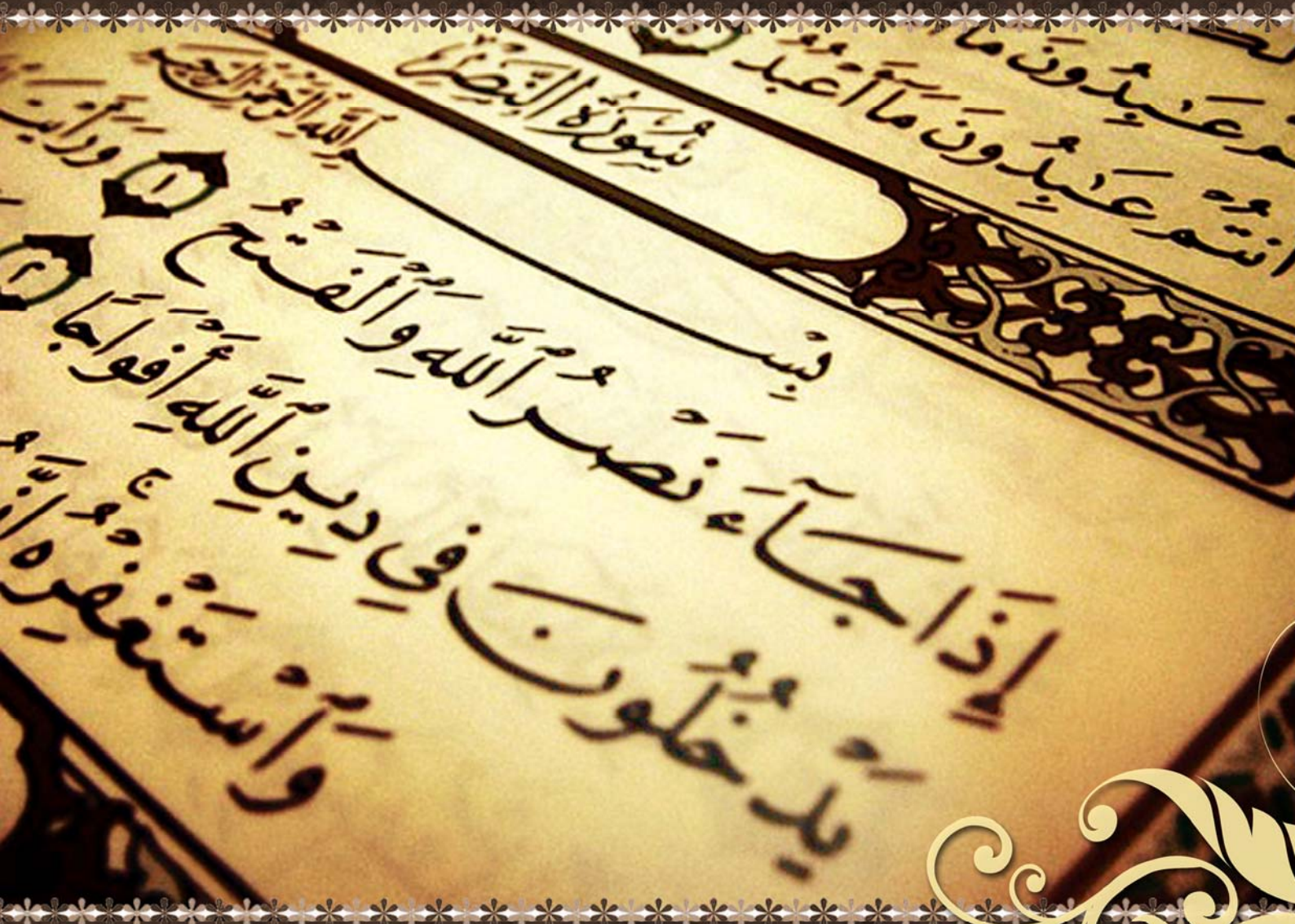

الدّكتُـــور
محمَّد بن عَبْدالرّحمن أبو سَيْف الشظيفي

نقلها لكم أخوكم : أبو إبراهيم
موافقة لطبعة دار ابن عفّان للنّشر والتّوزيع بالقاهرة

تنبيهات في إعجاز القرآن

بقلم
الدكتور محمد بن عبدالرحمن أبو سيف الشرفي

نقلها لكم أخوكم : أبو إبراهيم
موافقة لطبعة دار ابن عفان للنشر والتوزيع بالقاهرة

بسم الله الرحمن الرحيم

الـمُـقَـدِّمَـةُ

الحمد لله وحده لا شريك له ، نحمده ونستعينه ونستغفره ونستهديه ، ونعوذ بـه مـن شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلَّا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وأصلِّي عـلى النبـيِّ محمد وأسلم تسليماً كثيراً ، أما بعد :

فإنني كنت بتوفيق من الله قد قيـدت تقييـدات في إعجـاز القـرآن في معنـاه وفي دلالتـه وفي أنواعه فجمعتهـا في هـذه المطبوعـة وقـدمت عليهـا تمهيـداً في بيـان الأولى مـن التـسميات للمعجزة ، وترجمت لها بـ (**تقييدات في إعجاز القرآن**) ، وأتقدم بها للقراء رجاء تعدية نفـعٍ مظنون إليهم، محتسباً عند الله الأجر ، والله ولي التوفيق لاشريك له وله الحمد أوَّلاً وآخِـراً لاشريك له .

محمد بن عبدالرحمن أبو سيف الشظيفي

تمهـــــيد

إن الأولى في تسمية ما أجراه الله لأنبيائه من الخوارق أن تسمى آيات ، أو بينات أو بـراهين ، وذلك أجدر بها من تسميتها معجزات لوجوه :

الأول : أن لفظ المعجزة لم يرد في الكتاب ولا في السنة [١] ، وإنما فـيهما تـسمية الخـارق الـذي يجري لنبي من الأنبياء آية أو بينة أو برهاناً، قال سبحانه : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِـَٔايَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ [٢] ، وقال نبي الله صالح عليه السلام لقومه فيما حكـاه الله عنـه في كتابـه : ﴿قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَـٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ﴾ [٣]، وقـال سـبحانه : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَـٰتِ ﴾ [٤] ، وقال سبحانه : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ ﴾ [٥] .

الثاني : أن لفظ (آية) و (البينة) و (البرهان) في تسمية خوارق الأنبياء أدل على مقصودها من تسميتها معجزة ، ولذلك اختصت بها هذه الألفاظ فلا تقع على غيرها ، إذ حـدها حـد الدليل على صدق النبي ، ولم تقم لمجرد الإعجاز .

أما لفظ المعجزة فإنه وإن كان من بعض صفات آيات الأنبياء وشرط فيها وهو من لوازمهـا إلا أن العجز عن معارضتها غير مقصود لذاته وليس هو بمراد الله من إيتائه الآيات أنبيائه ، بل المراد كونها دليلاً على ثبوت النبوة وبرهاناً لها وآيـة عليهـا [٦] ، كـما سـيأتي إيـضاحه عنـد الكلام على معنى الإعجاز المقصود في آيات الأنبياء ودلالاته .

الثالث : أن عرف الأئمة المتقدمين كالإمام أحمد بن حنبل وغيره جرى على تسميتها آيات [٧] وقد جرى عرف من صنف في معجزات النبي صلى الله عليه وعـلى آلـه وسـلم عـلى تـسمية مصنفاتهم فيها باسم (دلائل النبوة) ، ولم يسموها معجزات ، ومن ذلك :

---

(١) انظر الجواب الصحيح لابن تيمية ٤/ ٦٧-٧٠، والمواهب اللدينة ١/ ٣٤٨ . (٢) الرعد ٣٨ ، وغافر ٧٨ .

(٣) الأعراف ٧٣ . (٤) الحديد ٢٥.

(٥) القصص ٣٢ . (٦) انظر: النبوات ٢٨٧ و ٢٨٩ و ٣١٠ .

(٧) قاله ابن تيمية ، انظر الفتاوى (١١/ ٣١١) .

ـ دلائل النبوة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ [١]

ـ دلائل النبوة لابن أبي الدنيا المتوفى سنة ٢٨١ [٢]

ـ دلائل النبوة لإبراهيم بن إسحاق الحربي المتوفى سنة ٢٨٥ [٣]

ـ دلائل النبوة لأبي بكر الفريابي المتوفى سنة ٣٠١ [٤]

ـ دلائل النبوة لإبراهيم بن حماد المتوفى سنة ٣٢٣ [٥]

ـ دلائل النبوة للنقاش المتوفى سنة ٣٥١ [٦]

ـ دلائل النبوة للطبراني المتوفى سنة ٣٦٠ [٧]

ـ دلائل النبوة للقفال الكبير المتوفى سنة ٣٦٥ [٨]

ـ دلائل النبوة لابن شاهين المتوفى سنة ٣٨٥ [٩]

ـ دلائل النبوة للخركوشي المتوفى سنة ٤٠٧ [١٠]

ـ دلائل النبوة لأبي نعيم المتوفى سنة ٤٣٠ [١١]

ـ دلائل النبوة للمستغفري المتوفى سنة ٤٣٢ [١٢]

ـ دلائل النبوة لأبي ذر الهروي ـ أحد رواة صحيح البخاري ـ المتوفى سنة ٤٣٥ [١٣]

ـ دلائل النبوة للبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ [١٤]

ـ دلائل النبوة لابن دلهاث المتوفى سنة ٤٧٨ [١٥]

ـ دلائل النبوة لقوام السنة التميمي المتوفى سنة ٥٣٥ [١٦]

ـ دلائل النبوة لأبي بكر محمد بن حسن المعري المتوفى سنة ٨٥١ [١٧]

---

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست ١١٦ ، وصاحب كشف الظنون (١/ ٧٦٠) .

(٢) ذكره الذهبي في السير (١٣/ ٤٠٢) .

(٣) ذكره ابن أبي يعلى في الطبقات (١/ ٨٦) .

(٤) وهو مطبوع .

(٥) ذكره ابن النديم في الفهرست ٢٨٢ ، وصاحب إيضاح المكنون (١/ ٤٧٧) .

(٦) ذكره الذهبي في السير (١٥/ ٥٧٤) .

(٧) ذكره الذهبي في السير (١٦/ ١٢٨) .

(٨) ذكره الذهبي في السير (١٦/ ٢٨٤) .

(٩) ذكره في الرسالة المستطرفة ص٧٨ .

(١٠) ذكره الذهبي في السير ١٧/ ٢٥٦ .

(١١) وهو مطبوع .

(١٢) ذكره الذهبي في السير (١٧/ ٥٦٤) ، وانظر : كشف الظنون (١/ ٧٦٠) .

(١٣) ذكره في السير (١٧/ ٥٦٠) .

(١٤) وهو مطبوع .

(١٥) ذكره في السير (١٨/ ٥٦٨) ، وسماه صاحب إيضاح المكنون : أعلام النبوة (١/ ١٠٤) . (١٦) وهو مطبوع .

(١٧) ذكره في كشف الظنون (١/ ٧٦٠) .

وربما سموا تصانيفهم في معجزات النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بـ (أعلام النبوة) ، ومنه :

ـ أعلام النبوة لأبي داود السجستاني المتوفى سنة ٢٧٥ . [١]

ـ أعلام النبوة لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ . [٢]

ـ أعلام النبوة لابن أبي الدنيا . [٣]

ـ أعلام النبوة لابن فطيس المتوفى سنة ٤٠٢ . [٤]

ـ أعلام النبوة للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ . [٥]

ـ أعلام النبوة للبكري المتوفى سنة ٤٧٨ . [٦]

ـ أعلام النبوة لابن ظفر المتوفى سنة ٥٦٥ . [٧]

وإطلاق لفظ (المعجزة) و (الإعجاز) في ذكر آيات الأنبياء كان معروفاً في أواخر القرن الثالث ، وكان ربما يقرن بلفظ الدلائل ولفظ الأعلام ، ومن هذا تسمية أبي عوانة الاسفرائيني المتوفى سنة ٣١٦ ، كتاباً له في دلائل النبوة باسم : (دلائل الإعجاز) [٨] ، وذكر أبو الحسن الأشعري المتوفى سنة ٣٢٤ ، مما اختلف فيه المتكلمون اختلافهم في ظهور الأعلام المعجزات على غير الأنبياء جائز أم لا . [٩]

وكان لفظ المعجزة يطلق على كل خارق سواء ظهر لنبي أو لولي غير نبي ، لا فرق في ذلك

---

(١) ذكره في الرسلة المستطرفة ٧٩ وسماه في كشف الظنون : دلائل النبوة (١/ ٧٦٠) ، وقال : ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب .

(٢) ذكره الذهبي في السير (١٣/ ٣٩٧) وسماه صاحب الفهرست : دلائل النبوة ، ص١١٦ ، وكذا في كشف الظنون (١/ ٧٦٠) .

(٣) ذكره الذهبي في السير ١٣/ ٤٠١ وأفرده عن دلائل النبوة ولعله هو .

(٤) ذكره في السير ١٧/ ٢١٢ وسماه في تذكرة الحفاظ: دلائل الرسالة (٢/ ١٠٦١) ، وسماه الداودي في طبقات المفسرين : أعلام النبوة ودلالات الرسالة (١/ ٢٩٢) ، وكذا في هدية العارفين (١/ ٥١٥) ، وفي الرسالة المستطرفة : دلائل الرسالة ٧٩ .

(٥) وهو مطبوع .

(٦) ذكره في السير ١٩/ ٣٥، وانظر: ايضاح المكنون ١/ ١٠٤.

(٧) ذكره في كشف الظنون ١/ ١٢٦.

(٨) ذكره في الرسالة المستطرفة ص٧٩ معطوفاً على كتاب دلائل النبوة.

(٩) انظر: مقالات الإسلاميين ص٤٣٨.

عندهم ويدل عليه قول الأشعري رحمه الله في كتابه مقالات الإسلاميين : (**واختلفوا هل يجوز أن تظهر الأعلام على غير الأنبياء ، فقال قائلون : لا تجوز أن تظهر الأعلام المعجزات على غير الأنبياء**) ، إلى أن قال : (**وقال قائلون : جائز أن تظهر المعجزات على الصالحين الذين لا يدعون النبوة**) . [١]

ولكن استقر الاصطلاح عن المتأخرين على قصر اسم (المعجزة) على خارق النبي ، وسموا خارق الولي (كرامة) . [٢]

---

(١) انظر: مقالات الإسلاميين ص ٤٣٨ .

(٢) انظر : الفتاوى (١١/ ٣١١) .

تَقييداتٌ في إعجَازِ القُرآنِ

وفيه ثلاثة تقييدات :

* **التقييد الأول** : معنى الإعجاز .

* **التقييد الثاني** : دلالتـــه .

* **التقييد الثالث** : أنوعـــه .

التقييد الأول

مَعْـــنَى الإِعْجَــاز

المعجزة والإعجاز مشتقان من الفعل عجز ، ومعنى عجز : ضعف ، يقـال عَجِـز عـن الشيء وعَجَز ـ بفتحِ الجيم وكسرِها ـ عجْزاً ومَعْجِزَةً ومَعْجَزَةً ومَعْجِزَاً ومَعْجَزَاً ، فهو عاجز أي ضعيف .

قال ابن الأعرابي : لا يقال : عجز الرجل إلا إذا عظم عجزه . (١)

قال الراغب : العَجْزُ أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عَجُزِ الأمر أي مؤخَّرِه ، قـال : وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة . (٢)

قال الأزهري : معنى الإعجاز : الفوت والسبق ، قال : وقـال الليـث : أعجـزني فـلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه . (٣)

ومنه سميت آيات الأنبياء معجزات لأن الخلق عاجزون عن الإتيان بمثلهـا ، خارجـة عـن مقدورهم ، وإن طلبوا الإتيان بمثلها ، وسعوا إليه فلن يدركوه .

ووجه الإعجاز في آيات الأنبياء أنهـا لا تـدخل تحـت قـدرة العبـاد مطلقـاً ، ولا تكـون إلا للأنبياء ، خاصة بهم ، وليست هي من جـنس معجـزات الـسحرة والكهنـة ، إذ معجـزات هؤلاء ليست خارقة لعادات بني آدم ، بل كل ضرب منها معتاد لطائفة مـن النـاس مقـدور عليه عندهم وليست خارجة عن مألوفهم ، وخرقها إنما هو لعادة من لم يعتد عليها ولا علم له بها ولم يألفها ، وليست هي خارجة عن سنن الله التي أجراها في كونه ، بل فيها اسـتخدام سنن الله الجارية في تغيير ما جرت به العادة الظاهرة ، فمـثلاً : جـرت سـنة الله في كونـه أن الزئبق يضطــرب ويميد إذا أصابته حــرارة ، فإذا لُطخت به عصيٌّ وحبـالٌ ، ثم ألقيت هذه

---

(١) انظر: الصحاح (٣/ ٨٨٤) ، ومعجم مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٢) .

(٢) المفردات ٣٢٢ .

(٣) تهذيب اللغة (١/ ٣٤٠) .

العصي والحبال في أرض أصابتها حرارة الشمس في وقت ضحىً ، وهو وقت ارتفاع الشمس واشتداد حرارتها ، ومع حرارة الأرض أصابت حرارة الشمس العصي والحبال أيضاً ، فإنها ستميد وتضطرب وتهتز حتى يخيل لمن يراها أنها تسعى ، كما فعل السحرة بين يدي موسى عليه السلام في الموعد الذي جمع الناس له . (١)

ففي هذا استخدام سنة كونية أجراها الله وهي : اضطراب الزئبق من الحرارة ، في خرق عادة مألوفة عند الناس وهي : كون العصي والحبال لا تضطرب ولا تسعى .

أما معجزات الأنبياء فليست مقدورة لأحد من البشر مطلقاً ، لأن فيها خرقاً للسنن التي أجراها الله في الكون ، ولا يخرق سنة جارية إلا من أجراها سبحانه وتعالى ، فمثلاً : أجرى الله في خلقه أن الجمادات كالحبال والعصي لا حياة فيها ذاتها ، ولا تنقلب عن أصلها إلى حيوانات حية تسعى ، ويستحيل على الخلق أن يفعلوا ذلك ، ولكن الله أخلف سنته الجارية في ذلك لنبيه موسى عليه السلام ، فلما ألقى عصاه قلبها الله حية حقيقة تسعى ، ولذلك آمن السحرة وخروا سجداً ؛ لأنهم تيقنوا أن ما أجراه الله لموسى عليه السلام لم يكن من قبيل استخدام سنة كونية في مخالفة مألوف ، بل هو إخلاف سنة جارية بنقيضها حقيقة على نحو لا يفعله ولا يقدر عليه إلا من خلق وأجرى سبحانه . (٢)

---

(١) انظر تفسير البغوي (٣/ ٢٢٤) ، وتفسير القرطبي (١١/ ٢٢٢) ، وتفسير ابن كثير (٣/ ١٥٩) ، وتفسير أبي السعود (٦/ ٢٧) وروح المعاني (١٦/ ٢٢٧) .

(٢) ولكن الذي ينبغي التنبه له، أن الله لا يخلف سنة أجراها إلا لسبب وحكمة، وقد اقتضت حكمته إجراء آيات الأنبياء التي فيها خرق سنة أجراها لسبب النبوة ولذلك فإن آيات الأنبياء لا تكون إلا مع النبوة وهي مختصة بالأنبياء وبرسالاتهم ، ولا تقع إلا لتأييد الأنبياء وتثبيت الرسالات .

وعلى هذا فهذه سنة لله في كونه أن يجري هذه الآيات لهذه المقتضيات ، فتكون سنة الله عز وجلّ وعادته في الأنبياء ورسالاتهم أن يميزهم بخصائص تمتاز بها عن غيرها ، ويعلم أن أصحابها من ذلك الصنف المخصوص .

فعند التحقيق والتدبر لا يكون في آيات الأنبياء خرقاً للسنن الكونية الجارية مطلقاً ، بل إنها سنن أجراها الله بإزاء سننه الجارية في كونه ، قال ابن تيمية رحمه الله في النّبوات ص٣٣٠ ـ ٣٣١ : " الرب تعالى في الحقيقة لا ينقض عادته التي هي سنته التي قال فيها : ﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ ، وقال : ﴿ بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾ ، وهي التسوية بين المتماثلين ، والتفريق بين المختلفين ، فهو سبحانه إذا ميز بعض المخلوقات بصفات يمتاز بها عن غيره ويختصه بها قرن بذلك من الأمور ما يمتاز به عن غيره ويختص به ، ولا ريب أن النبوة يمتاز بها الأنبياء ويختصون بها .

إلى أن قال رحمه الله تعالى : " ولم تكن له سبحانه عادة بأن يجعل مثل آيات الأنبياء لغيرهم حتى يقال : إنه خرق عادته ونقضها ، بل عادته وسنته المطردة أن تلك الآيات لا تكون إلا مع النبوة والإخبار بها ، لا مع التكذيب بها أو الشك فيها ، كما أن سنته وعادته أن محبته ورضاه وثوابه لا يكون إلا لمن عبده وأطاعه ، وأن سنته وعادته أن يجعل العاقبة للمتقين ، وسنته وعادته أن ينصر رسله والذين آمنوا ، كما قال تعالى : ﴿ وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ﴾ ، وكل ما يظن أنه خرقه من العادات فله أسباب انخرقت فيها تلك العادات ، فعادته وسنته لا تتبدل ؛ إذ أفعاله جارية على وجه الحكمة والعدل .

ولعله يمكن القول : إن آيات الأنبياء هي سنن خاصة جارية على خلاف السنن العامة لحكمة اقتضت ذلك .

قال ابن تيمية رحمه الله : (**إن ما يأتي به الساحر والكاهن وأهل الطبائع والصناعات والحيل ، وكل من ليس من أتباع الأنبياء لايكون إلا من مقدور الإنس والجن ، فما يقدر عليه الإنس من ذلك هو وأنواعه والحيل فيه كثير ، وما يقدر عليه الجن هو من جنس مقدور مقدور الإنس وإنما يختلفون في الطريق، فإن الساحر قد يقدر على أن يقتل إنساناً بالسحر ، أو يمرضه ، أو يفسد عقله أو حسه وحركته وكلامه بحيث لا يجامع أو لا يمشي أو لا يتكلم ونحو ذلك ، وهذا كله مما يقدر الإنس على مثله لكن بطريق أخرى**) ، إلى أن قال رحمه الله : (**وكذلك الجن كثيراً ما يأتون الناس بما يأخذونه من أموال الناس من طعام وشراب ونفقة وماء وغير ذلك ، وهو من جنس ما يسرقه الإنسي ، ويأتي به إلى الإنسي ، لكن الجنّ تأتي بالطعام والشراب في مكان العدم ، ولهذا لم يكن مثل هذا آية لنبي ، وإنما كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يضع يده في الماء ، فينبع الماء من بين أصابعه ، وهذا لا يقدر عليه لا إنس ولا جن ، وكذلك الطعام القليل يصير كثيراً ، وهذا لا يقدر عليه لا الجن ولا الإنس ، ولم يأت النبي صلى الله عليه وعليه وآله وسلم قط بطعام من الغيب ولا شراب**) . [1]

وقال رحمه الله : (**إن آيات الأنبياء مما يعلم العقلاء أنها مختصة بهم ليست مما تكون لغيرهم ، فيعلمون أن الله لم يخلق مثلها لغير الأنبياء ، وسواء في آياتهم التي كانت في حياة قومهم ، وآياتهم التي فرق الله بها بين أتباعهم وبين مكذبيهم بنجاة هؤلاء وهلاك هؤلاء ، ليست من جنس ما يوجد في العادات المختلفة لغيرهم ، وذلك مثل تغريق الله جميع أهل الأرض إلا لنوح ومن ركب معه في السفينة ، فهذا لم يكن في العالم نظيره .**

وكذلك إهلاك قوم عاد ﴿ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝٨ ﴾ ، مع كثرتهم وقوتهم ، وعظم عماراتهم التي لم يخلق مثلها في البلاد ، ثم أهلكوا بريح صرصرٍ عاتية مسخرة سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ، حتى صاروا كلهم كأنهم أعجاز نخل خاوية ، ونجّى هودًا ومن اتبعه ، فهذا لا يوجد نظيره في العالم .

---

(١) النبوات ١٦٨ ـ ١٦٩ .

وكذلك قوم صالح أصحاب مدائن ومساكن في السهل والجبل وبساتين ، أهلكوا كلهم بصيحة واحدة ، فهذا لم يوجد نظيره في العالم .

وكذلك قوم لوط أصحاب مدائن متعددة رفعت إلى السماء ، ثم قلبت بهم ، وأتبعوا بحجارة من السماء تتبع شاذهم ، ونجا لوط وأهله إلا امرأته أصابها ما أصابهم ، فهذا لا يوجد نظيره في العالم .

وكذلك قوم فرعون وموسى ، جمعان عظيمان ينفرق لهم البحر ، كل فرق كالطود العظيم ، فيسلك هؤلاء ويخرجوا سالمين ، فإذا سلك الآخرون انطبق عليهم الماء ، فهذا لم يوجد نظيره في العالم) [١] ، إلى أن قال رحمه الله : (**والقرآن مما يعلم الناس عربهم وعجمهم أنه لم يوجد له نظير ، مع حرص العرب وغير العرب على معارضته ، فلفظه آية ، ونظمه آية ، وإخباره بالغيوب آية ، وأمره ونهيه آية ، ووعده ووعيده آية ، وجلالته وعظمته وسلطانه على القلوب آية ، وإذا ترجم بغير العربي كانت معانيه آية ، كل ذلك لا يوجد له نظير في العالم**) .[٢]

والحاصل أن جنس خوارق الأنبياء جنس خاص ليس من جنس سائر الخوارق المعلومة عند الناس المقدورة لبعضهم ، وهذا هو وجه الإعجاز فيها : عدم دخولها تحت قدرة العباد ، وإنما ينفرد الله تعالى بالقدرة عليها ، وهي فعله سبحانه الذي لا يستطاع ، وكيف يشبه فعل المخلوق فعل الخالق الذي لا نظير له ولا مثال له ولا عديل له ، والأمر كما قال ابن تيمية رحمه الله : (**دلائل النبوة من جنس دلائل الربوبية**) [٣] ، وعلى هذا جاء إعجاز القرآن ، فإن سر إعجاز القرآن وحقيقته أنه كلام الله لا يقدر أحد من البشر أن يقول مثله ، وكيف يشبه كلام المخلوقين كلام الله ؟!

وثمة مسألة ، وهي : إذا كان إعجاز القرآن في كونه خارجاً عن مقدور البشر أصلاً لكونه كلام الخالق ، ولا يرد كلام مخلوق على مثاله تعالى الله ، فما وجه التحدي به ، فإن ما تستحيل قدرة العباد على أعظم من أن يُتحدوا فيه ، وظهور بينته وتمكن برهانه ، مغنٍ عن التحدي به ؟

---

(١) النبوات ١٥٩ ـ ١٦٠ .

(٢) النبوات ١٦٤ .

(٣) الجواب الصحيح (٤/ ٧٩) .

الجواب عن هذا من وجهين :

الأول : أن القرآن نزل في أصل نزوله بينة ودلالة على النبوة ولم ينزل للتحدي ، وإنما وقع التحدي به مع ورود الطعن فيه والشك منه والشغب عليه بالجدال والمماحكة ، وعلى هذا تدل الآيات الوارد فيها التحدي ، فآية سورة البقرة قال الله تعالى فيها : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ ورود التحدي به بعد ذكر ريبهم منه .

وآية سورة هود قال الله فيها: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ ورد التحدي به فيها بعد ذكر طعنهم فيه .

وآية سورة يونس قال الله فيها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾ ورد التحدي به فيها بعد ذكر طعنهم فيه .

وآية سورة القصص قال الله فيها : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَىٰ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا بِمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكُلٍّ كَافِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾ ورد التحدي به فيها بعد ذكر جدالهم وطعنهم فيه .

وآية سورة الطور قال الله فيها : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ ورد التحدي به فيها بعد ذكر طعنهم فيه .

وآية سورة الإسراء التي قال الله فيها : ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ ورد التحدي به فيها في سياق ذكر جدالهم ، ومماحكتهم وشغبهم على القرآن باقتراح الآيات على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فالآيات بعدها في بيان ذلك ، قال سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَارَ خِلَالَهَا تَفْجِيرًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ﴿٩٢﴾ أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ

فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ فذكر اقتراحهم الآيات بعد آية التحدي وارد على ذات المعنى الذي في قوله سبحانه: ﴿ وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ ﴾ أي أن آية القرآن كافية والتحدي به مغن في قيام الحجة وانقطاع المعارض عن قرنه بآيات أخر.

الثاني : أن التحدي بالقرآن ورد من باب مجاراة الخصم لإلزامه بالحجة وإتمامهاعليه وقطع المعذرة وسد الذرائع من جميع وجوهها ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في وصف ربنا تبارك وتعالى أنه قال : « لا أحد أحب إليه العذر من الله، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين ». (٦(

ولذلك تمم الله الحجة عليهم وأكملها بعد تحديهم بالقرآن فجاء عقب آيات التحدي بيان إنقطاع المكذبين وتمام الحجة عليهم، وأن تكذيبهم بعد التحدي إنما هو جحد ومعاندة ، وأنه ليس لهم بعد التحدي إلا الإذعان أو استحقاق العقوبة ، ففي سورة البقرة قال سبحانه في الآية بعد آية التحدي: ﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ۖ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ ، فأخبر عز وجلّ أنه لا سبيل لهم بعد التحدي وعجزهم إلا أن يتقوا النار بالتسليم لله ولكتابه ورسوله أو فإنها قد أعدت لهم .

وفي سورة هود قال سبحانه في الآية بعد آية التحدي : ﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ ، فأخبر سبحانه أنهم إن لم يأتوا بمعارض بعد التحدي فقد انتفى المعارض ، واستقر الدليل على أن لا إله إلا هو سبحانه ، وأن القرآن من عنده ، متضمن أمره وعلمه ، ولم يبق بعد ذلك إلا الإذعان والتسليم ، فهل أنتم مسلمون؟

وفي سورة يونس قال سبحانه في الآية بعد آية التحدي : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ ، فأخبر سبحانه أن

تكذيبهم بعد التحدي وعجزهم هو من جنس تكذيب من قبلهم ، تكذيب ظلم وعناد وعلو وكفر ، فلينظروا إلى عاقبة أولئك ، وليحذروها أن تصيبهم كما أصابتهم .

وفي سورة القصص قال سبحانه في الآية بعد آية التحدي : ﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٠﴾ ﴾ فأخبر سبحانه أن عدم إيمانهم بعد التحدي وعجزهم إنما هو إتباع للهوى ، لا دليل لهم ولا حجة يتبعونها سوى العناد والظلم .

وفي سورة الطور قال سبحانه : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ ، فبين سبحانه أن كفرهم وجحدهم هو الحامل لهم على الطعن في القرآن ، وادعاء أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم افتراه من عند نفسه ، ثم اتبع هذا التقرير بدليله وهو تحديهم أن يأتوا بمثله إن كانوا صادقين في دعواهم ، فقال سبحانه : ﴿ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ .

وفي سورة الإسراء قال سبحانه في الآية بعد آية التحدي : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾ ﴾ ، فأخبر أن كفر الناس ليس عن قصور البينة وعجز في الدليل وضعف في الحجة ، ولكنه جحود للحق ورد للحجة ومكابرة.

وهذا كما قال الله عز وجلّ في فرعون وقومه لما جاءهم موسى عليه السلام بالآيات المعجزات : ﴿ وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ ﴾ [1] هذا بعد قوله سبحانه : ﴿ فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [2] ، أي : أن الآيات المعجزات التي جاء بها موسى ظاهرة ، وأرادوا معارضتها فغلبوا فجحدوا بها في ظاهر الأمر ، واستيقنت أنفسهم العلم بأنها حق من عند الله ، ولكنهم أخذتهم المكابرة ظلماً وعلواً .

وقد أحكم الله حلقة إعجاز كتابه وأتمها من كل وجه فجعل إنزاله على رجل تحكم أحواله وصفاته حلقة الإعجاز ، وتمنع خدشه بأي شيء يرتاب به المبطلون ، فأنزله على رجل أمي ما كان يتلو من كتاب ولا يخطه بيمينه ، كما قال سبحانه: ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا

---

(١) النمل ١٤ .

(٢) النمل ١٣ .

تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾[1] ، فهذا كتاب عجيب فيه تفاصيل أخبار الأولين ، وأحوال الأرض والسماء ، يأتي هذا النبي الذي عرفه قومه ، عرفوا صدقه وأمانته ، وعرفوا مدخله ومخرجه وسائر أحواله ، وهو لا يكتب بيده خطاً ، ولا يقرأ خطاً مكتوباً ، وهم يعرفون ذلك فقد لبث فيهم عمراً من قبله : ﴿ قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[2] ، فهذا من أظهر البينات على إعجازه ، ولو كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم قارئاً أو كاتباً ، لكان للريب لا للتكذيب وجه ن فكيف وهو ليس كذلك ، فلا وجه لمجرد الريب فضلاً عن التكذيب ، فلا يكون التكذيب والحال هذه إلا جحد ظالم : ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ لمعرفة المشركين بأمية النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم سلكوا طريقاً آخر في الجدال ، فزعموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم تلقى القرآن عن معلم علمه إياه ، وهذه دعوى لم تصدر عن جد ، وإنما هي دعوى عبثية هزلية ، ولذلك لم يجدوا من ينسبون إليه تعليم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هذا القرآن إلا غلاماً قيناً رومياً ، لا يحسن العربية إلا بقدر ما لابد منه من جواب الخطاب ، كان بين أظهرهم غلاماً لبعض بطونهم ، ولذلك كان الجواب عن هزلهم هذا ، وكان نقض هذه الدعوى العبثية واضحاً سهلاً بسيطاً دالاً على أن هذه الدعوى خارجة عن وقار العقل ، لا يدعيها من له أدنى مسكة من عقل ، قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ ۗ لِّسَانُ ٱلَّذِى يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِىٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٠٣﴾﴾[3] هذا ولو كان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم غير أمي ، وكان قارئاً كاتباً ، لما خدش ذلك في إعجاز القرآن ، ومن وقعت في نفسه ريبة منه رده تدبر القرآن وتحقيق العلم به عن ريبه ، فكيف والحال ماذكر من شأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ؟ فانعقدت أزمة الإعجاز من أطرافها ولم يبق لريب موضع بوجه من الوجوه إلا وجه العناد واللعب .

---

(١) العنكبوت ٤٨ ـ ٤٩ .

(٢) يونس ١٦ .

(٣) النحل ١٠٣ ، وانظر سبب نزولها في تفسير ابن جرير (١٤/ ١١٩) ، وأسباب النزول للواحدي ١٦٢ ، و السيرة النبوية (١/ ٤٠٥) .

وقد جمع الله عز وجلّ في إقامة الحجة على المشركين بإعجاز القرآن بين دلالتي : القرآن ، وسيرة النبي المنزل عليه القرآن : ﴿ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ أَمْ جَآءَهُم مَّا لَمْ يَأْتِ ءَابَآءَهُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴿٦٩﴾ ﴾ .[1]

(١) المؤمنون ٦٨ ـ ٦٩ .

التقييد الثاني
دلالَةُ إِعْجَازِ القُرْآنِ

إن المقصود من تأييد الأنبياء بالمعجزات هو إقامة الدليل على صدق الرسول ، وصحة الرسالة ، وإسقاط شُبَه المبطلين وتمحكات المعاندين ؛ لتحقيق فائدة الرسالة ومقصودها ، وهو اجتماع الناس على رسول ، والتدين لله بالرسالة، ولذلك سماها الله بينات وبرهان .

فدلالة المعجزات هي صدق الأنبياء ، وثبوت نبوتهم في حقيقة الأمر وأصله ، وليس مدلولها مجرد إشاعة دعوى النبوة والإخبار عنها ، ولذلك جعل الله عز وجلّ آيات أنبيائه من خصائص قدرته ، خارجة عن مقدورات البشر ؛ لأنه لما كانت النبوة منه سبحانه والرسول رسوله مرسلاً من عنده وبأمره ، ومبلغاً عنه وواسطة بينه وبين خلقه اقتضى المقام أن تكون العلامة الدالة على صحة الرسالة وصدق الرسول منه سبحانه ، من خصائص قدرته ، فهو المرسل ، وهو معطي العلامة ، وإذا كانت العلامة التي مع الرسول من خصائص المرسِل ، ولاتكون إلا منه ، ولا تعرف إلا له ، دل هذا على صدق الرسول وصحة الرسالة .

وعلى هذا ورد إعجاز القرآن ، فهو دليل على صدق رسالة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وثبوتها له صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصحة نسبتها إلى الله عز وجلّ لأنها كلام الله الذي يخصه فلا يشبهه كلام، فعجز الخلق على الإتيان بمثله ، وثبوت كونه كلام الله نفسه سبحانه علامة بينة للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم على صدق دعواه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه مرسل من الله ، وأن ما يبلغه هو مطلوب الله من خلقه .

وها هنا أمور تتعلق بدلالة إعجاز القرآن على ثبوت النبوة :

❖ **الأول** : أن العلم بدلالة إعجاز القرآن على ثبوت النبوة علم ضروري ، والأدلة النظرية توافقه [1] ، ولذلك فإن القرآن دليل على النبوة وإن لم يقع التحدي به ، فليس من شرط

(١) انظر : النبوات ص ٣٣ .

دلالته أن يتحدى به ، ولذلك لما سمع النجاشي ما تلاه عليه جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من القرآن ، قال : (**إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة**) [١] ، فهذا من النجاشي علم ضروري .

ومن هذا القبيل قول الوليد بن المغيرة لقريش لما سمع شيئاً من القرآن : **والله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ، ولا بأشعار الجنّ ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، ومغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته** . [٢]

ومنه قول أنيس أخي أبي ذر : (**لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقراء الشعر فما يلتئم على لسان أحد بعدي أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون**).[٣]

❖ **الثاني** : أن دلالة إعجاز القرآن على ثبوت نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم غير مختصة بزمنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، ولا بقومه العرب ، ولذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « **ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أو حاه الله إليّ ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة** » . [٤]

ولذلك لما كانت رسالته صلى الله عليه وعلى آله وسلم عامة في الخلق أجمعين ، وهي مراد الله منهم إلى يوم القيامة لا يقبل ديناً غير ولا يُعبد إلا بشرعة محمد إلى قيام الساعة ، لما كان ذلك كذلك كان القرآن باقياً محفوظاً إلى يوم القيامة ، لا يدخله تحريف ولا تبديل ، لأنه دليل

---

(١) هذا وارد في حديث جعفر بن أبي طالب الطويل ، وهو حديث حسن أخرجه أحمد (١/ ٢٠٢) ، وابن إسحاق ـ السيرة النبوية (١/ ٣٤٧-٣٥١) ، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١١٥-١١٦) ، وفي الدلائل(١/ ٢٤٦ ـ ٢٥٠) ، والبيهقي في الدلائل (٢/ ٣٠١) ، وابن عساكر في تاريخه ، انظر: البداية والنهاية لابن كثير (٣/ ٧١ ـ ٧٤) ، وصحح الحديث : أحمد شاكر في ترتيبه المسند (٣/ ١٨٠) ، وصاحب الفتح الرباني (٢٠/ ٢٢٩) .

(٢) أخرجه الحاكم (٢/ ٥٠٦) ، وقال : (هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه) ، ووافقه الذهبي ، وعن طريقه أخرجه البيهقي في الدلائل (٢/ ١٩٨) ، وأخرجه ابن جرير في التفسير (١٦/ ٩٨) ، والواحدي في أسباب النزول ٢٥٠.

(٣) ورد هذا في سياق حديث إسلام أبي ذر رضي الله عنه ، أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩١٧، ح ٢٤٧١ .

(٤) متفق عليه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، البخاري مع الفتح ٩/ ٣ ، ح ٤٩٨١ ، ومسلم ١/ ١٣٤ ، ح ١٥٢ .

ثبوت النبوة وصحة الرسالة ، وإعجازه فيها ناطق إلى يوم القيامة بصحة الرسالة : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [١] ، وهو كلام الله ، والخلق عن بكرة أبيهم واستقصاء أماكنهم وتوالي أزمنتهم لا قدرة لهم على الإتيان بمثل سورة منه [٢] ، ﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾ ﴾ . [٣]

❖ **الثالث** : أن القرآن بإعجازه ليس دالاً على صدق النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحده ، بل وعلى صدق من دعى إلى ملته وأخبر على نبوته من جميع الخلق في كل زمن ، وهذا الأمر فرع عن سابقه .

---

(١) الحجر ٩ .

(٢) وهذا من خصائص القرآن ، فإنه هو آية نبوة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وهو رسالته وشرعته ، فاجتمع فيه الإعجاز والمنهج ، النبوة ودليلها ، وكانت معجزات الأنبياء قبله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منفكة عن المنهج مستقلة بنفسها .

(٣) الإسراء ٨٨ .

التقييد الثالث

أَنـوَاعُ إِعْجَـازِ القُـرْآنِ

القرآن كلامٌ ، والكلام ألفاظ ومعان ، وإلى هذا تنتهي أنواع إعجاز القرآن .

فإعجازه : على الجملة إعجاز لفظ ، وإعجاز معنى ، وينضم إليهما نوع آخر مستقل من الإعجاز ، وهو تأثيره في النفوس وصنيعه في القلوب ، قال الخطابي : (**إنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في حال أخرى وما يخلص منه إليه**) [١]

قال سبحانه وتعالى : ﴿ لَوۡ أَنزَلۡنَا هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ عَلَىٰ جَبَلٖ لَّرَأَيۡتَهُۥ خَٰشِعٗا مُّتَصَدِّعٗا مِّنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۚ ﴾[٢] وقال : ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ﴿٢٣﴾ ﴾[٣] ، فهذه الثلاثة جملة أنواع الإعجاز ، ثم تتعدد أنواعه بتعدد وجوهها ، فهو أنواع متعددة بتعدد جمل الألفاظ وتراكيبها ، وبتعدد إنشاءات المعاني وأخبارها ، وتعدد آثاره في النفوس من رغبة ورهبة ومهابة وسكينة ونحو لك .

قال الخطابي : (**وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة : لفظ حامل ، ومعنى به قائم ، ورباط لهما ناظم ، وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة ، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه ، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه ، وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالتقدم في أبوابها ، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها .**

وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام ، وأما أن توجد مجموعة في نوع

---

(١) بيان إعجاز القرآن ص٦٥ .

(٢) الحشر ٢١ .

(٣) الزمر ٢٣ .

واحد منه فلم توجد إلا في كلام العليم القدير الذي أحاط بكل شيء علماً وأحصى كل شيء عدداً ، فتفهم الآن واعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، مضمناً أصح المعاني ، من توحيد الله تعالى وتنزيهه في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ، وبيان لمنهاج عبادته ، في تحليل وتحريم وحظر وإباحة ، ومن وعظ وتقويم ، وأمر بمعروف ونهي عن منكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساويها ، واضعاً كل شيء منها موضعه الذي لا يرى شيء أولى منه ، ولا يرى في صورة العقل أمر أليق به منه ، مودعاً أخبار القرون الماضية وما نزل من مثلات الله بمن عصى وعاند منهم ، منبئًا عن الكوائن المستقبلة في الأعصار الماضية من الزمان ، جامعاً في ذلك بين الحجة والمحتج له ، والدليل والمدلول عليه ، ليكون ذلك أوكد للزوم ما دعى إليه وإنباءً عن وجوب ما أمر به ونهى عنه) . (١)

وقال ابن تيمية رحمه الله : (بل هو ـ أي القرآن ـ آية بينة معجزة من وجوه متعددة ، من جهة اللفظ ، ومن جهة النظم ، ومن جهة البلاغة في دلالة اللفظ على المعنى ، ومن جهة معانيه التي أمر بها ، ومعانيه التي أخبر بها عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وملائكته وغير ذلك ، ومن جهة معانيه التي أخبر بها عن الغيب الماضي وعن الغيب المستقبل، ومن جهة ما أخبر به عن المعاد ، ومن جهة مابين فيه من الدلائل اليقينية والأقيسة العقلية التي هي الأمثال المضروبة كما قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورًا ﴿٨٩﴾﴾ (٣) ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (٤) ، وكل ماذكره الناس من وجوه إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ولا يناقض ذلك ، بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له). (٥)

---

(١) بيان إعجاز القرآن ص٢٢ وما بعدها .

(٢) الكهف ٥٦ .

(٣) الإسراء ٨٩ .

(٤) الزمر ٢٧ ـ ٢٨ .

(٥) الجواب الصحيح (٤/ ٧٤ ـ ٧٥) .

وقد عدد أهل العلم أنواع إعجاز القرآن حتى أوصلها السيوطي في جمعه في كتاب (معترك الأقران في إعجاز القرآن) إلى خمسة وثلاثين نوعاً.

وأردأ أقوال الناس وأبعدها عن الحق قول من قال : إن إعجاز القرآن في صرف الناس عن معارضته مع قدرتهم على ذلك وقيام الداعي إليه [١] ، وهذا القول بالصرفة باطل من وجوه :

الأول : أن القرآن تحدى الخصوم أن يأتوا بمثله ، واستثار حميتهم ، وكرر التحدي والتقريع به ، ودعى إلى الإستعانة بكل من يمكن الإستعانة به للإتيان بمثله ، وهذا التحدي إنما هو دعوة إلى المعارضة وإغراء بها واستثارة إلى محاولة وممارستها .

الثاني : أنهم لم يجدوا أنفسهم مصروفيين عن المعارضة ، بل قد حاولوا وجاءوا بما زعموه معارضاً فافتضحوا وتمكن إعجاز القرآن ، قال ابن تيمية رحمه الله : (**وقد إنتدب غير واحد لمعارضته، لكن جاء بكلام فضح به نفسه، وظهر به تحقيق ما أخبر به القرآن من عجز الخلق عن الإتيان بمثله، مثل قرآن مسيلمة الكذاب، كقوله : يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقي كم تنقين ، لا الماء تكدرين ، ولا الشراب تمنعين ، رأسك في الماء وذنبك في الطين**). [٢]

الثالث: أنه لو كان الإعجاز في الصرفة لكانت هي المعجزة لا القرآن نفسه ، ولكان تحداهم بأن ينصرفوا إلى معارضته لا بالمعارضة نفسها .

قال الباقلاني : (**ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة وإنما منع منها الصرفة لم يكن الكلام معجزاً ، وإنما يكون المنع معجزاً ، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه**) . [٣]

وحاصل القول في أنواع إعجاز القرآن أنها في الجملة ثلاثة أنواع :

- **الأول** : إعجازه في ألفاظه وأسلوبه، وهو الإعجاز اللغوي .
- **الثاني** : إعجازه في المعاني التي دلت عليها الألفاظ ، وهو الإعجاز في علومه التي تضمنها ،

---

(١) هذا هو القول بالصرفة ، وقد اشتهر به النظام أحد رؤوس المعتزلة .

(٢) الجواب الصحيح (٤/ ٧٦ ـ ٧٧) .

(٣) إعجاز القرآن ٥٤ .

وهو يشمل نوعين عامين :

الإعجاز التشريعي : وهو إعجازه في أوامره ونواهيه وسائر أحكامه وأقضيته .

الإعجاز العلمي : وهو إعجازه في أخباره بالمغيبات الماضية والمستقبلة ، وبما تضمنه من أخبار عن أسرار الكون والآيات في الآفاق وفي أنفس بني آدم .

❖ **الثالث** : إعجازه في آثاره في نفوس سامعيه ، وهو **الإعجاز المعنوي** .

هذا ولعله يلاحظ وقوع التعبير بلفظ (الأنواع) مكان لفظ (الوجوه) الذي جرى العرف به في كتب العلم فيغلب في الاستعمال أن يقال : وجوه إعجاز القرآن ، ولكن لفظ (الأنواع) أولى ؛ لأن وجه إعجاز القرآن واحد ، وهو كونه كلام الله سبحانه منه بدا ومهما تعددت أنواع الإعجاز فإن سر إعجاز كل منها ووجهه هو كونه كلام الله الذي لا يشبه كلام مخلوق ، ولا يشبهه كلام المخلوقين ، تعالى الله وتقدس عن المشابهة ، ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤ ﴾ ، ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۝١١ ﴾ .

تم بحمد الله تعالى

وصلى الله على نبينا محمد